البطولة في أدب الأطفال

بقلم احمد ابو بكر ابراهيم

قد يظن الناس ان ادب الطفولة هين المكانة ، لما يبدو فيه من سذاجة الفكرة ، وقرب الخيال والسهولة المطلقة في الاداء ، وقد يكون اذا قرأوا ما ينطق الطير والحيوان : انها بطولة حقا ولكنها بطولة الديكة والثعالب والغربان يصورها الخيال في دنيا الخرافة ، فما ايسر البطولة اذا قامت بها العجماوات ، وروت احاديثها الطيور والحيوانات .

وقد يستهين النقدة بادب الصغار ، يرونه دون اقدارهم فلا يهبطون الى ميدانه ، اشفاقا منهم ان يتهم نقدهم بالعبث ، ويرمى بيانهم بالضعة والهوان . وهذه الاوهام هي التي صرفت ادباءنا الاعلام عن الاهتمام بامر هذا الادب ، فلم يتناوله منهم الا قلة نادرة : الفوا فيه بعض القصص ووضعوا للابناء بعض المقطوعات التي تناسب ادراكهم . ولكنهم ضنوا عليه بالنقد والتوجيه ، فلم يتعرضوا له مؤرخين ، ولم يبينوا للناس غاياته واهدافه ، ولم يضعوا له القواعد والاصول . تلك الموازين التي تهدى الى ما يصلح منه وما يصلح لمراحل الطفولة المختلفة ، ومن ثم كثر متكلفوه وصانعوه وامتلات مكتبات الاطفال بالغث والسمين والضار والنافع ، ووقف المربون من هذا الانتاج في اغلب الاحيان موقفا سلبيا ، فلم يقطعوا فيه برأى وانما تركوا امره الى الطفل يلتمس منه ما يشاء ، فاصاب من قراءته النفع والضرر والخير والشر على السواء

وعندي ان ادب الاطفال اهم الاداب جميعا اذا كان قياس الادب باثره الباقي في النفوس فهو بذلك يعد الادب الموجه للجيل الصاعد ، وغارس العادات ، ومقوم الاخلاق ، وموضع امل الاباء والمجتمع والامة . بل يعد ادب الحياة الصانع لمستقبل الحياة .

ولست اشك في ان نقد هذا الادب من الصعوبة بمكان على الرغم من السهولة البادية في خياله واسلوبه . ذلك لان احكام الناقد في كل صورة من صوره ترتبط بالدراسات النفسية والاخلاقية اكثر مما ترتبط باصول النقد والبلاغة ، والعارفون لاتجاهات الطفولة يعلمون ان الادب الرفيع قد يكون اسوأ ما يقدم الى الاطفال لانه ببلاغته وبعد مراميه ، يوقعهم في حيرة ويعقد عليهم المسالك ، وقد ينفرهم من الادب مدى الحياة . ولا بد لنا اذا شئنا التاليف الادبي للاطفال او اردنا نقد مايقدم اليهم من آداب ان نتعرف على هذه النفوس الغضة ونلم باتجاهاتها ، حتى يكون عملنا واقعا موقعه من الصواب . ولست مبالغا اذا قلت ان الدراسة النفسية ستقفنا على امر عجيب : سنعلم ان الاطفال شعراء العاطفة، وليغفر لي الشعراء اذا قلت : ان الطفولة تلتقي بالشاعرية في كثير من صفاتها : تلتقي بها في غلبة الخيال ، ورقة الاحساس ، وحدة العاطفة والاقبال على الطبيعة ، والنفور من القيود التي تحد الحرية ، وفي الايمان بالمثل التي يصورها الخيال سامية عالية ، فالطفل شاعر حين يستنطق الجماد ، ويخاطب الطير والحيوان ، وشاعر حين يفر من الواقع الى قصص ينسجها الخيال ، وشاعر بصفاء نفسه التي تنعكس عليها صور الحياة ، : فيتفاءل ويتشاءم ، ويبغض ، ويقبل على الناس وينفر منهم . كل ذلك يهديه اليه قلبه الرقيق الفياض بشتى العواطف .

وانما سقت هذا التشابه ، لابين ما تشتمل عليه هذه النفوس الصغيرة من اقبال على الادب اذا نحن احسنا اختياره ، وقدمناه اليه في ثوب شاعري يتفق وميوله وعندئذ فقط نستطيع ان نرسم له المثل العليا التي نريد فيه اطار من الادب يجتذب نفسه الصافية ، فتسير على هداها الى ما نبتغيه من الغايات الكريمة والامال العزيزة .

ادب الطفولة وبطولاته في ادبنا العربي :

لعلنا ندرك بعد هذه المقدمة ان ادب الطفولة ليس هينا يسيرا ـ كما يبدو ـ فالشعوب التي اصطنعت الادب في اعلى صوره البلاغية لم تستطع ان تصل الى الاحسان في ادب الاطفال الا بعد دراسات واسعة ، اهتدت بها الى دراسة الطفولة نفسها ، دراسة كشفت عن اسرارها واوضحت معالمها . ومن اجل هذا لا نكاد نجد في ادبنا العربي قبل النصف الثاني من القرن التاسع عشر اي اثر لادب الاطفال ، وان كنا نجد في ثناياه الوانا قليلة قد تصلح لبعض مراحل الطفولة ، لم يضعها الادباء ـ حين وضعوها ـ للاطفال ، وانما ارادوا بها التسلية او العظة ، او استهدفوا بها العوام من الناس ، فجاءت دون قصد منهم ـ صالحة بفكرتها احيانا وباسلوبها في قليل من الاحيان .

ونحن اذا عدنا بخيالنا الى صحرائنا العربية قبل الاسلام ، نجد هذه الصحراء مليئة بالاحداث ونجد صورا من البطولات تزخربها اشعار الشعراء وقصص الرواة ، وتتردد هذه وتلك في المجتمعات فتتناثر على مسامع الاطفال : يتلقفونها اول الامر دون وعي ، فلا تزال تلح عليهم كلما تقدم بهم الزمن ، حتى تحل في نفوسهم محل العقيدة ، وتدفعهم بتاثيرها القوي في طريق الابطال الذين اعزوا شأن القبيلة واعاوا مكانتها.

ولقد كانت الامهات بما ينظمن من أشعار البطولة أسبق من أدب القبيلة في التأثير ، فقد كن يدللن اطفالهن باشعار الحماسة منذ الصغر ، فتتفتح عيونهم على احاديث الشجاعة ، واباء الضيم ، ولقاء الاعداء وها هي ذي كنزة المنقرية تدلل طفلها شملة بقولها :

فان بك ظني صادقي وهو صادقي ... بشملة يحبسهم بها محبسا ازلا
فيا شمل شمر واطلب القوم بالذي ... أصيت . ولا تطلب قصاصا ولا عقلا

ولا نحسب الطفل في مهده او حداثة سنه يدرك الاغراض البعيدة من هذا الكلام ، ولكنه الايحاء المستمر يواتيه من كل جانب : من أمه ومجتمعه وقبيلته ، فينبه احساسه ويلقى بالشرارة الاولى في نفسه فلا تزال تتوهج كلما مر الزمن ، حتى تحيلها آخر الامر الى نار متاججة ، لا يهدىء من اوارها الا دم الاعداء في ميدان القتال .

ولم اجد كذلك فيما قرات من ادب اسلامي ما يشير الى ظهور هذا الادب ، وانما التفاتة فقط الى تعليم الصغار بما يقدم اليهم من تعاليم الدين ، واداب تدعو الى الفضيلة والاخلاق وعناية بقصص الابطال يتصدى لها القصاصون في المساجد ، دون نظر الى مستوى السامعين واعمارهم

ثم كانت انطلاقة الفكر في العصر العباسي ، فترجمت كتب على لسان الطير والحيوان ، وجمعت قصص تاريخية وغير تاريخية والفت نوادر للبخلاء والاذكياء وغيرهم ، وجمعت رحلات المغامرين والمستكشفين ، واصبح بهذا وغيره في ادبنا العربي مادة صالحة من ادب البطولة للاطفال ،ولكنها ـ كما يبدو ـ لم تستغل في وجهها الصحيح ، ولم يلاحظ في اسلوبها صفات خاصة بهم . وبين ايدينانصائح الناصحين من المربين منعهدابن المقفع الى عهد ابن خلدون وما بعده ، وهي جميعها لا تولي هذه الكتب عناية خاصة . يقول الغزالي ناصحا المعلمين : « عليه (اي المعلم) ان يبدأ بانتقاء الاشعار السهلة ليسهل على الطفل حفظها ، وينبغي ان تكون ذات مدلول خلقي من حث على اصطناع المعروف ، وقرى الضيف ، وغير ذلك من مكارم الاخلاق » . ولقد بقيت بعض هذه الكتب بعيدة عن الصغار بأسلوبها الرفيع ، وبقي ابطالها بمنأى عن دنيا الاطفال ، حتى تناولها في العصر الحاضر مهذبون ، فصاغوها صياغه تقرب ما بها من معان للناشئين ، وقد يكون من المفيد في هذا الصدد ان نسوق هذا الكلام على لسان دمنة ، ليعلم منه ان الطفل مهما تكن سنه ومقدرته لا يستطيع ان يستسيغه او يتلقاه بالقبول : قال دمنة : حدثني الامين الصدوق عندي ان شتربة خلا برؤس جندك . وقال : قد خبرت الاسد وبلوت رايه ومكيدته وقوته . فاستبان لي ان ذلك يؤول منه الى ضعف وعجز ، وسيكون لي وله شان من الشئون فلما بلغني ذلك علمت ان شربة خوان غدار ، وانك اكرمته الكرامة كلها ، وجعلته نظير نفسك ، وهو يظن انه مثلك ، وانك متى زلت عن مكانك صار له ملكك ولا يدع جهدا الا بلغه فيك وقد كان يقال : اذا عرف الملك من الرجل انه قد ساواه في المنزلة والحال فليصرعه فان لم يفعل به ذلك كان هو المصروع وشتربة اعلم بالامور وابلغ فيها . والعاقل هو الذي يحتال للامر قبل تمامه .

ان هذه الادلة التي سيقت على لسان دمنة فوق ادراك الطفل وليس في القطعة ما يغريه بالقراءة . على ان كل جملة من جمل هذه القطعة يحتاج الى وقفات للبسط والايضاح ، وليس في نفس الناشيء من الصبر والقدرة على الادراك ما يمكنه من الاحاطة بما يهدف اليه هذا الكلام . ولهذا نقول : ان المؤلفين والمترجمين في تلك العصور لم يحاولوا الكتابة للاطفال في مراحلهم المختلفة ، وانما جاء انتاجهم صالحا لبعض هذه المراحل من حيث الموضوع وان ند عن آفاقهم في اسلوبه وتصويره في كثير من الاحيان .

ولا استطيع ان انكر الوانا اخرى من ادب البطولة ظهرت في عهود التاخر ، كان لها شان بين عامة الناس تلك هي الوان القصص الشعبي ، كقصص الظاهر بيبرس وابي زيد واخبار الصالحين وغيرها ، وكان الاطفال يقبلون عليها اقبالا شديدا لما يجدون فيها من حديث الحرب والقتال والضرب والنزال ، ولما يجدونه في اشعارها الحماسية من تلبية لميولهم المتطلعة الى الزعامة وحب السيطرة والمغامرة . يحدثنا الدكتور طه حسين في كتابه الايام عن اقباله على سماع الادب الشعبي فيقول : كان احب شيء اليه ان يسمع انشاد الشاعر ، او حديث الرجال الى ابيه والنساء الى امه ، ومن هنا تعلم حسن الاستماع ، وكان ابوه وطائفة من اصحابه يحبون القصص حبا جما ، فاذا صلوا العصر اجتمعوا الى واحد منهم يتلو عليهم قصص الغزوات والفتوح واخبار عنترة والظاهر بيبرس ،واخبار الانبياء والنساك والصالحين ، وكتبا في الوعظ والسنة ، وكان يقعد منهم مزجر الكلب وهم عنه غافلون ولكنه لم يكن غافلا عما يسمع ، بل لم يكن غافلا عما يتركه هذا القصص في نفوس السامعين من الاثر ... » ويقول : « حتى اذا صلوا العشاء اجتمعوا فتحدثوا طرفا من الليل واقبل الشاعر ينشدهم اخبار الهلاليين والزناتيين ، وصاحبنا جالس يسمع في اول الليل كما كان يسمع في اخر النهار » ... الى ان يقول : ولم يبلغ التاسعة من عمره حتى كان قد وعى من الاغاني والتعديد والقصص وشعر الهلاليين والزناتيين والاوراد والادعية ، وانا شيد الصوفية جملة صالحة . »

ويوضع الدكتور في مكان اخر من الكتاب مقدار حرصه على سماع الشاعر الشعبي بقوله : « ثم يذكر انه كان لا يخرج ليلة الى موقفه من السياج الا وفي نفسه حسرة لاذعة ، لانه كان يقدر ان سيقطع عليه استماعه لنشيد الشاعر حين تدعوه اخته الى الدخول فيأبى فتخرج فتشده من ثوبه ... الخ » .

وهكذا عاش الاطفال على ادب الكبار ، واريدوا على التماس المثل فيما

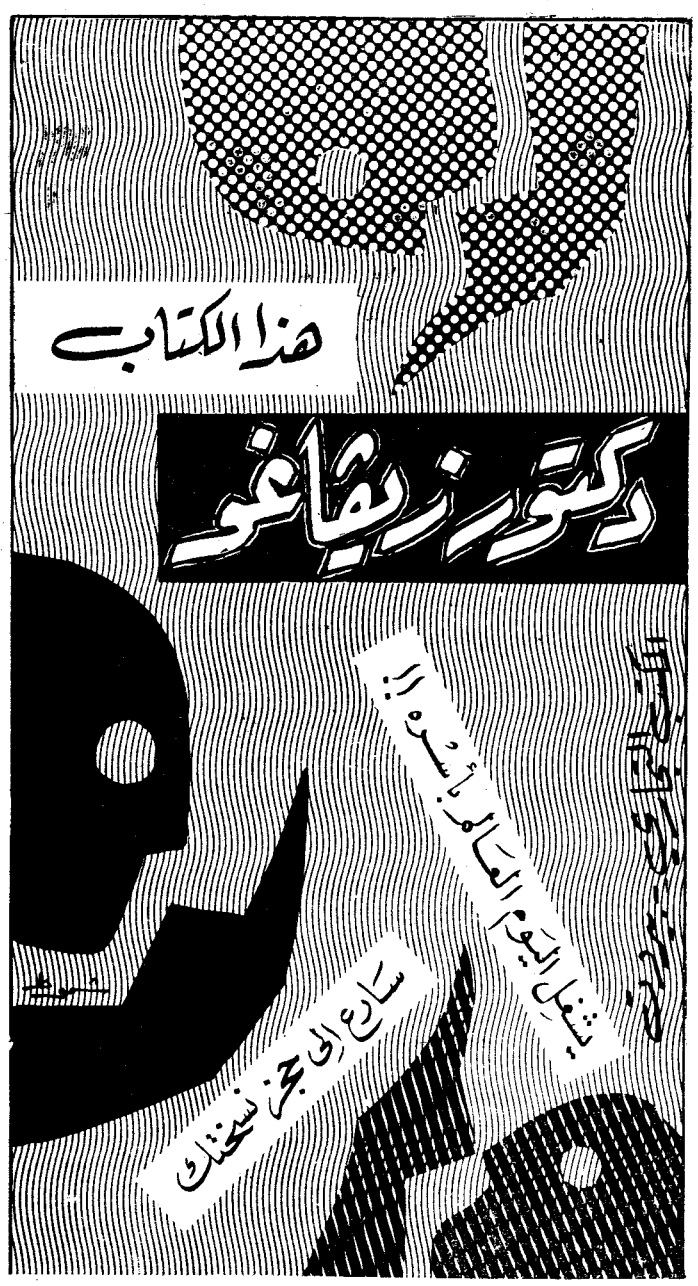

لا يدركون في اغلب الاحوال ، فشق عليهم ذلك حينا ، واساءهم حينا اخر ، ووجدوا فيه الغذاء الصالح للنفوس في قليل من الاحيان ، حتى كانت النهضة الحديثة ووجد الادباء والمتصدون للتربية نماذج منه في الاداب الاجنبية : وجدوا قصصا ومسرحيات ، واشعارا يستسيغها الاطفال في حداثة السن ، فترجموا وعربوا والفوا وشهدت مدارس سوريا ولبنان مسرحيات ، فالف خليل اليازجي «مروءة ووفاء» وعرب محمد عثمان جلال «العيون اليواقظ على لسان الطيور والحيوان»، ووضع ابراهيم العرب كتابه « آداب العرب » في شعر قصصي سهل واقبل المؤلفون للاطفال على خرافات ايسوب يستعيرون من قصصها ما يلائم بيئتنا واتجاهاتنا وعمد محمد عبد المطلب وعبد المعطى مرعي الى التاريخ العربي ينظمان حوادثه مسرحيات . وهكذا عرف العرب بعد ان ظهرت اهمية علم النفس ان للطفل مستواه الخاص ولم يعد رجلا صغيرا كما كانوا يظنون . وادركوا كذلك ان الادب اذا احسن اختياره ، وقدم للطفل في اسلوب مقبول كان مؤثرا في نفسه وملونا لاخلاقه وراسماله المثل العليا في سيرة ابطاله. نعم لم تكن المسرحيات المدرسية الى عهد قريب ملائمة للاطفال ، ولكنها على اي حال كانت خطوة في سبيل التدرج ، والوصول بعد ذلك الى النتائج الطيبة .

نماذج البطولة في ادب الاطفال :

ولست اود ان اخوض مراحل الطفولة ، وما يصلح لكل منها من ادب البطولة قبل ان اشير الى اختلاف واضح بين نماذج البطولة في ادب الرجال ونماذجها في ادب الاطفال . فقد يكون البطل في نظر الصغار آدميا او غير آدمي : قد يكون طيرا او حيوانا ضعيفا او قويا ، بل قد يكون جمادا : عصا تسير ودراجة تنطق ، وهكذا . واننا لنجد من خطل الراي احيانا ان نسوق له الابطال من التاريخ نحدثه عن اخبارهم واعمالهم لانه لا يقدر الزمن ، ولا يدرك حدود المكان فنرى من الواجب تأخير اخبار العظماء ، ووصف الشعراء لمواقع القتال ، وما ينسب الى الاجداد من حماية الاوطان حتى يبلغ المرتبة التي يدرك معها الاسرار التي نبتغيها من وراء هذه البطولات فنقدمها له عالمين بآثارها المجدية في نفسه.

ولا نود ان نقف في امثلتنا البطولية عند الشجاعة وحدها ، فهي لون من الالوان ، وانما نعد كل متفوق على نظرائه في الصفات الانسانية بطلا : فالكريم والوفي وذو المروءة والمعين على الشدة ابطال . والصالح والحكيم والصبور ابطال ، والسياسي والمخترع والعالم النافع والذكي وواسع الحيلة ـ ابطال كذلك . نقول ذلك ، لان الطفل يرى في كل هؤلاء مثل السمو والتفوق بل يرى فيهم البطولة والحق التي تستأهل التماس الاسوة والاكبار والاجلال .

وليس من الحكمة في شيء ان نصدر حكمنا على ادب الطفولة دون بيان للمرحلة التي الف لها او يليق لاطفالها : فقد يكون جيدا للاطفال في سن معلومة قبيحا بالنسبة لاخرين ومن اجل هذا رايت الاشارة العاجلة الى مراحل الطفولة مع بيان ما يصلح لكل منها من اداب ، وبطولات .

« اولا » الطفولة المبكرة (من الثالثة الى الخامسة)

كانت الجدة ولا تزال اديبة هذه الفترة من حياة الطفل ، وكاني بها وقد قرسها برد الشتاء قد اتخذت مكانها المختار حول المدفأة ، ثم اخذت ترسل بصوتها المتهدج الى الاسماع قصة الغول ، والشاطر حسن ، واصبح الملك (او عقلة الصباع) والاطفال في سكون لما يتملك قلوبهم من الرهبة حينا ، وعجائب الحياة حينا آخر ، وليس للجدة من هدف فيما تقول الا ان تغري الاطفال بالسماع ، وتحول بينهم وبين العبث قبل المنام : رواسب من الاجيال السحيقة توارثتها الجدات عبر القرون ، وقد يكون في بعضها متعة واذكا للخيال ، ولكن قد يكون في بعضها الاخر خلق للمخاوف بما يجري على ايدي الابطال من المردة والشياطين واللصوص والفتاكين . وهكذا نصبت الجدة نفسها مربية واديبة دون علم ، ولم تتخل حتى الان عن مكانتها بعد ان انشئت دور الحضانة والرياض ، وبعد ان تولت الاذاعات العربية توجيه الاطفال في هذه المرحلة بالوان من القصص والاناشيد .

وقد استمعت الى القصص التى تلقى من الاذاعة فاعجبني منها اشياء: اعجبني ما فيها من خيال جامح يناسب الطفل في هذه المرحلة ، فالطيور تتحدث ، والحيوانات تغني والجماد يتحرك،واعجبني اعتمادها على التصوير الصوتي لكل هذه الكائنات فان هذا التقليد ينقل الطفل الى جو مثير ، فيخيل اليه انه يستمع الى ذوات الاشياء وان ما يسمعه حقيقة واقعة . وفيها غير ذلك استغلال للغناء ، وهو بنغماته يضفي على القصة من الامتاع ما يملك لب الطفل ويستحوذ على وجدانه . وهكذا تستطيع الاذاعة بهذا التاثير القوي ان تقدم من الابطال والاعمال ما تراه مفيدا لخيال الطفل ، مؤثرا في اخلاقه .

ومن الواجب ان نشير كذلك الى ما تقوم به مدرسات الحضانة والرياض من تقديم الغذاء الادبي في هذه السن المبكرة،غير اني لا اعفيهن ولا اعفي الاذاعة احيانا من الخروج عن مستوى الاطفال : فليكن البطل في قصص الاذاعة والمدرسات دجاجة تتحدث ، او وردة تغني ، او قطا يعاون طفلا ، او عنزا تشتري من الحداد قرنين لتدافع عن ابنها ، وليكن الغرض من كل ذلك تنمية الخيال وتعريف الطفل بمقومات بيئته ، ولينثر القادر في تضاعيف الكلام ما يريد من مثل واخلاق . ولكن الخروج عن البيئة في هذه السن ايذاء : فالاسكيمو ، وسكان الادغال ، ووحيد القرن حقائق اذا نقلنا اليها الطفل قبل الاوان ، كان مثلنا مثل من يقدم الدسم للممعود يزيد من علته ويؤخر شفاءه .

ويجب ان نعلم ان كثيرا من قصص الجدات بلاء اي بلاء اذا كان ابطالها من الاغوال والمردة والسفاكين ، وان قصة الطفل الذي احترق عندما خالف امه وامثالها مما تتورط فيه بعض المدرسات لصغار الاطفال ضارة ، لانها مثيرة لمخاوفه . ولعلنا نعلم ان غريزة الخوف في هذه الفترة من الحياة تبلغ الغاية من الحدة والعنف ، ومن واجبنا ان نهدىء من ثورتها بما نصطنع من قصص نتخير ابطالها من الاطفال الشجعان ، ونجري الاحداث على ايديهم فيرى الطفل انهم لا يرهبون الظلام ، ولا يخشون السكون ، ولا يخافون الحيوانات الاليفة والحشرات الضعيفة ، فيحاول تقليدهم مهدئا من حدة الخوف التي تسيطر عليه .

وقد رايت فيما قرات قلة واضحة في هذا النوع من القصص : وربما وقع القاريء على قصة يجد في بدايتها صلاحا لهذه المرحلة ، فاذا مضى في القراءة وجد في تضاعيفها خروجا على ما يناسب الصغار . وقد يجد في بعضها الاخر اسرافا في الطول يخرجها عن الملاءمة لاطفال في سن الخامسة . هذه قصة مترجمة اسوق صورا منها على سبيل المثال. وجدت في بدايتها المرآة السحرية تتحدث فقلت : انها لاطفال في سن الخامسة . فلما قطعت في قراءتها شوطا وجدت في ثناياها حديثا عن الحسد والغيرة وهي صفات غير مفهومة لاطفال هذه المرحلة ، وقد تضمنت القصة غير ذلك احداثا لا تناسب الاطفال الكبار ، تقول القصة : « وكان عند هذه الملكة

ـ البقية على الصفحة ١٠٧ ـ

البطولة في ادب الاطفال

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٣٢ ـ

الجديدة مرآة سحرية تنظر فيها وتسألها : يا مرآتي الصغيرة : هل في البلاد احد اجمل مني ، فتجيبها المرآة :

سيدتي الملكة : انت اجمل سيدة في البلاد جميعها ...» ثم تتتابع احداث القصة الى ان يقال : « غضبت الملكة غضبا شديدا وامتلا قلبها بالغيرة والحسد والغيظ وكرهت « سنوهيت » اشد الكراهية وقالت في نفسها : يجب ان تموت سنوهيت هذه ، يجب ان تقتل » . ثم ذكر في القصة بعد ذلك ان الاميرة نامت خمس سنين دون ان تاكل او تشرب . فنحن اذا نظرنا الى القصة على ضوء ما نعرف من اتجاهات الطفولة ، ادركنا انها مترجمة بين ما يلائم الكبار وما يلائم الصغار فهي اذا بصورتها الراهنة لا تلائم اي فريق من الفريقين ، غير اننا لا نستطيع ان نقدمها للكبار للتسلية ، وتزجية الفراغ محتملين ما نتعرض له من نظرات التهكم عندما يقرأ الطفل نوم الملكة خمس سنين دون ان تاكل او تشرب ، وعندما تتحدث المرآة عالمة بالغيب ، ومخبرة بالحقيقة .

واعود فاقول : ان البطل في هذه المرحلة يجب ان يكون طيرا معروفا ، او حيوانا اليفا او طفلا او احد الاقرباء ، وان يراد ببعض القصص التقليل من حدة الخوف والتعريف بالبيئة ، وتنمية الخيال .

«ثانيا » الطفولة المتاخرة (من السادسة الى الثانية عشرة)

اننا لنقرأ في وجه الطفل في السنتين الاوليين « السادسة والسابعة » تساؤلا وكأنه يقول : اريد ان افهم ما يحيط بي من اشياء ، اي هذه الاشياء حقيقة وايها خيال ؟ لا تدفعوني بقصصكم العجيبة الى الحيرة ، فقد بدأت افهم ان البساط لا يطير ، نعم لا يطير ، لاني رأيته ثابتا وما زال ثابتا . وبدات افهم ان ما اكله الذئب من اولاد العنز لا يمكن ان يعود الى الحياة مرة اخرى . اريد ان اعرف بيئتي على حقيقتها ، واعرف بلادي، واتودد الى اصدقائي ممن يعيشون في بلدتي. انني لاحس كثيرا من الغموض فيما حولي ، وهذا الغموض يقلق نفسي ، فاحس التشاؤم في بعض ايامي ، فروحوا عني بالوان من الفكاهة تسري بعض ما ينتابها من حيرة وكآبة .

انها انتقالة جديدة حقا تحتاج من ادبائنا الى حكمة في اختيار القصص وانواع الابطال فليكونوا في هذه الفترة من اهل الحرف : كالصناع والزراع والتجار ومن اليهم ممن يؤدون خدمات لمواطنيهم ، وليكونوا كذلك من الغرباء عن اهليهم واوطانهم حين يحسون بالشوق والعودة ، وبذلك نبدأ الخطوة الاولى في طريق الاحساس والوطنية ، على ان يكون خيالنا محدودا بل تغلب عليه الواقعية الا في القليل من الخيال الذي يجذب الانتباه ويحمل عناصر التشويق .

وليكن الابطال الذين تدور حولهم قطع الشعر ، ومقطوعات الاناشيد في هذا المحيط ايضا الام والاخوة والجدة ، والممرضة ، والمعلم وغيرهم ، ولو استطاع الناظم ان يؤدي المعاني التي يريدها في اسلوب قصصي لكان ذلك اوقع في نفس الطفل وادعى الى تاثره . هذا الشاعر الهراوي يتحدث عن العطف الاخوي في ابيات يقول فيها :

كانت ليحيي هرة بيضاء ... وسيمة في شكلها حسناء
وكان لا يأكل الا معها ... ولم يكن يشبع او يشبعها
فمرة قد جلسا للماكل ... واخته فاطمة في معزل
فاجلس الهرة فوق المنضده ... يطعمها من لحمة مقدده
فاقبلت فاطمة نحو الهره ... تطعمها مثل أخيها مره
فظنت الهرة انها اتت ... تريد ان تحرمها ما أطعمت
فرفعت لها يدا بشرها ... وخدشت فاطمة بظفرها
لما راى يحيي دماء اخته ... صب على الهرة سوط مقته
القى بها من فوره بعيدا ... وقال قولا طيبا سديدا
الاخت يا هرة فوق الهرة ... ومن يساوي صدفا بدره

وانا وان كنت لا ارضى بقوله « صب على الهرة سوط مقته » من ناحيتين : ناحية ارتفاع الاسلوب الذي لا يناسب السياق ، وناحية الحيوان الذي لا يدرك الا اني واجد في القطعة نهجا شائعا يغري بالقراءة ، ووصفا جميلا لتعاطف الاخوة على انه قد يهون النقد حينما نعلم انه اراد ان يبين مكانة الاخت وانها تفضل كل شيء محبب اليه ، حتى ولو كان هرته العزيزة : « ومن يساوي صدفا بدرة » ويجب ان نعلم ان الفكاهة ضرورة لا بد منها ، لانها تشيع الابتهاج في نفس الطفل وتجعله يقبل على الحياة، بل ترغبه في القراءة منذ الصغر،على ان تكون الفكاهة هينة لا يحتاج ادراكها الى عمق في التفكير، ويكون ابطالها ممن تجري على ايديهم اعمال تلفت النظر لما فيها من غرابة . فقد نستطيع ان نؤلف قصصا صغيرة تدور حول طفل ينسى كثيرا فيلبس حذاءه معكوسا ، او يلبس حلة اخيه الصغير فيبدو منظره مضحكا ، او نذكر له قصصا لاناس يقعون في مشكلات ، لانهم لم يفكروا تفكيرا سديدا : كقصة الرجل الذي وجد لوحة معلقة على عمود فلم يستطع قراءتها لضعف بصره ، فصعد ليعلم ما بها ، فلما وصل اليها وقراها وجد بها هذه العبارة « احترس من الطلاء » . ان هذه القصة وامثالها فضلا عما بها من المرح تأخذ بيد الطفل الى معرفة ما لم يعرف من شؤون الحياة ، فهي تسلية لنفسه وغذاء لعقله في وقت معا .

ولما كان الخيال الذي ننهى عنه انما هو الخيال الجامح الذي قد يوقع الطفل في حيرة كالخرافات التي تؤكد مزاعم العوام ، لما كان ذلك فاننا نستطيع ان نقدم له ما ينطق الطير والحيوان والحشرات ، لان الطفل لا يحتاج الى عناء كبير في ادراكه على حقيقته.ولكن غايتنا من ذلك توضيح صفاتها ، والافصاح عن عجائبها ، او غرس العادات الصالحة عن طريق بطولاتها وما تقوم به من اعمال ، او الاتيان بطائفة من الفكاهات في حكاياتها سواء اكانت شعرا ام نثرا على ان تكون في مستواه العقلي كما ذكرنا ، من ذلك مثلا قول شوقي على لسان الحمار بعد ان اوقع صاحبه وذهب يستفسر من الثعلب عن فعلته :

في موكب الامس لما ... سرنا وسار الكبار
طرحت مولاي ارضا ... فهل بذلك عار ؟
وهل اتيت عظيما ... فقال : لا يا حمار !

اما الفترة الباقية من الثامنة حتى الثانية عشرة فمن حقنا ان نعود فيها الى الخيال ولكن في الحدود التي لا تجلب المخاوف والمفزعات، وفي الافاق التي لا تحمله على الاستهزاء والسخرية . نعود الى مثل هذا

الخيال آمنين ، لانه اصاب من المعرفة ما يمكنه من التفرقة بين الواقع والخيال . على ان أهم ما نعنى به في هذه الفترة انما هي بطولات الوفاء للوطن والتضحية في سبيله . ومن الامثلة التي اجتمع فيها الخيال بالمعاني السامية في محبة الوطن قطعة شوقي المشهورة وفيها يقول :

عصفورتان بالحجاز حلتا على فنن
في خامل من الرياض لا ند ولا حسن
بيناهما تنتجيان سحرا على الغصن
مر على أيكهما ريح سرى من اليمن

فبطولة القصة هنا تقوم بها عصفورتان رضيتا بجفاف المكان وقلة الغذاء ، تقديسا للوطن ، وايمانا بمكانته العزيزة في النفوس . ثم ردت احداهما على الريح في جواب المؤمن بوطنه المتفاني في محبته .

يا ريح انت ابن السبيل ما عرفت ما السكن
هب جنة الخلد اليمن لا شيء يعدل الوطن

ولست اوافق الشاعر هنا على التمثيل باليمن والحجاز فهما وطن واحد ويجب ان ننبه الاطفال الى هذا المعنى ونؤكده في اذهانهم وقلوبهم منذ الصغر .

وقد يكون من الواجب في هذه المرحلة ان نذكر الطفل بالوان من التضحيات يقوم بها الابطال في سبيل بلادهم : الجندي في ميدان القتال ، والاسير بين ايدي الاعداء ، والفدائي يضحي بنفسه في سبيل المبادىء، كل ذلك في اسلوب قصصي يلائم الاطفال ، ويتمشى مع ادراكهم واننا لنذكر على سبيل المثال قول احدهم يذكر قصة أسير :

وقف الاسير مقيدا بين الاسنة والعدا
فاذا تلفت حوله وجد السلاح مسددا
قالوا له : ماذا وراءك من معدات الردى
ماذا اعد أميركم للحادثات وجندا

وتسير القصة ذاكرة تهديدهم له بالقتل ان لم يبح بالاسرار ، ومفصحة عن اغرائه بشتى المغريات ان هو باح بها وخان قومه ولكنه لم يفعل :

فتبسم المأسور من هذا الكلام ورددا
عاشت بلادي حرة ولها دمي منى الفدى
افنى ويبقى في علا وطني الحبيب مخلدا

ونعود فنذكر بما سبق ان قلناه من ان الطفل في هذه الفترة وان عاد الى الخيال مرة اخرى ، الا انه لا يميل الى الخيال الجامح ، وانما يميل الى الخيال المحدود : لا يعجبه ان يستمع الى قصة الحصان يطير بصاحبه في الجو ، ولا يعجب بالخرافات الشاذة حينما نذكر له مثلا في قصة من القصص ان عملاقا مفرط الضخامة كان الناس يسيرون على حافة قبعته فلا تقع ولا يحس هو بهم . نعم قد يقرأ مثل هذه الخرافات ، ويقرأقصةالاميرة المسحورة ، وابن عروس البحر ، واصبع الملك وغيرها ،ولكنه يستهين بها متطلعا الى خيال من نوع آخر .وقد يجد في هذه الخرافات من الغرائب ما يزيد من مخاوفه او يدفعه الى دنيا الاوهام والاباطيل . ولست ادري لم يغرق المؤلفون في هذه الخرافات ، فياتوا في قصصهم بالبخور ينطلق منه المارد ويتخيروا الابطال من الجن والشياطين. وفي حقائق العلوم في عهدنا الحاضر مجال لخصوبة الخيال ـ ان شاءوا ـ . ها هي ذي الابتكارات في الاقمار الصناعية ، والذرة ، والصواريخ ومعجزات الطب وغيرها ، كفيلة بان تفسح المجال امام الخيال الابتكاري . فليتخير الادباء ابطالا مغامرين يسافرون الى القمر ، وليتخيلوا معجزات لا تقع في الحسبان توجدها الذرة ، وليذكروا في قصصهم ابطالا يطيرون في الجو بآلات صغيرة ويأتون باعمال عجيبة .

وليتخيلوا من معجزات الطب ما يشاؤون .فان هذه خير الف مرة من المارد الذي يخرج من البخور ، لان فيها تنبيها للاذهان ، وبناء للخيال ،

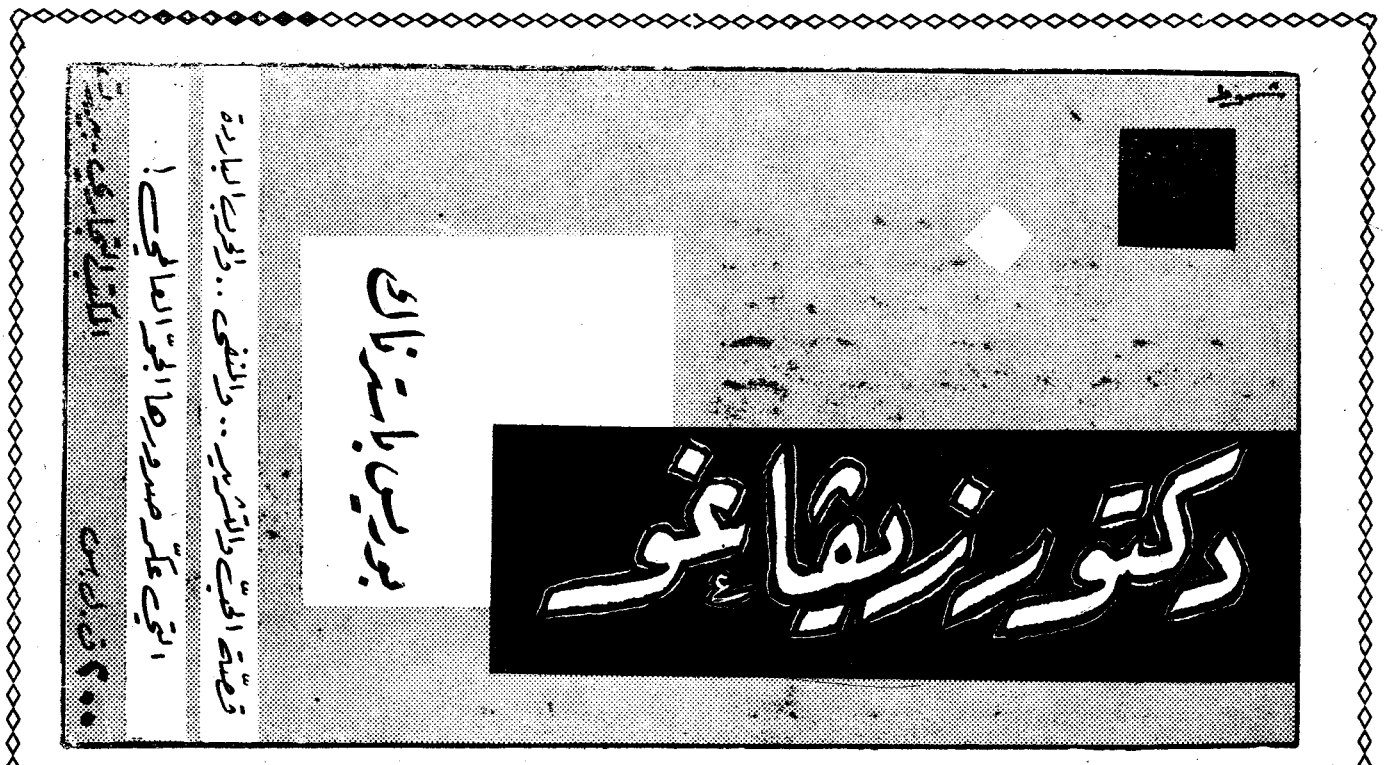

وتخطيطا للانسانية في مستقبل الزمان . ومن الانصاف ان اقول : انني وقعت على بعض القصص التي تستمد خيالها من هذه النواحي ، ولكني اذكر انها وقعت في كثير من الاخطاء ، ففي احداها يقول عمار لبشار بعد ان وصلا الى القمر في صاروخ : انظر الى الارض يا بشار وهي تدور كانها قمر كبير . انظر ! ها هو البحر المتوسط ، وها هي سوريا ومصر ،وها هي آسيا وافريقيا » وكان في الصورة يشير الى الارض وهو ينظر اليها بعينه المجردة فكيف يستبين مصر وكيف يستبين سوريا . ولكني مع ذلك كله اقول : ان هذه القصة واشباهها ـ مهما يكن بها من أخطاء ـ خير من قصص السحرة والشياطين تلك القصص التي لقيت رواجا كبيرا في عهد التأخر والجمود .

في هذه الفترة من الحياة يبدأ التطلع الى القوة : يراها الطفل في قوة الجسد ، وقوة العقل وسعة الحيلة ، وهو يود ان يصل اليها جميعا تلبية لغريزة السيطرة التي قويت في نفسه ودفعته الى طلب الزعامة : ولذلك يرغب في تكوين جماعة يقودها ان استطاع ، ليحارب جماعة اخرى في حي من أحياء بلدته : انها النفس تؤكد ذاتها وتبنى شخصيتها ، وتحاول ان تفرض سلطانها بعد ان انست الى البيئة وعرفت اسرارها ، وقد يجرفه هذا الاتجاه في غفلة من الاباء والمربين الى الفرار من كل قيد ، وتقليد الاقوياء من القتلة واللصوص والسفاكين . ونحن بما اوتينا من قوة لا نستطيع ان نئد الغرائز ولكنا نملك توجيهها بما نتذرع به من اساليب وخير ما نتسلح به في هذه الحال الادب الموجه ، نستغل مثله وصوره واعمال ابطاله . ليلتمس الطفل القدوة فيما هو واجد فيه من صفات ، ويعلم ان القوة خير حين توجه لصالح الوطن ، والدفاع عن الكرامة ، وحين يراد بها مواجهة العتاه ، ومؤازرة الضعفاء ، والوصول الى الحقوق . اما حب الغلبة والاعتداء وقهر الناس واستلاب الاموال فانحراف لا يليق بالنفس العزيزة الكريمة .

نسوق هذا كله مساق القصص ، او نقدمه في حوار المسرحيات ، او نصوره في شعر سهل تتقبله نفوس الناشئين ، لان هذه الطرائق افعل بالنفوس ، وادعى الى الاقتداء بالابطال الشرفاء فينشأ الجيل بعد الجيل على عزة النفس واباء الضيم ، وان الوطن لينتظر من ابنائه جراة في موضعها وشهامة في الحفاظ على المقدسات ، وحمية تردع الاعداء . ومما يدعو الى الانتباه في هذه الفترة من الحياة ان الطفل يغرم بالقوة حقا ، ولكنه يحس في جسده من الضآله ما يحول بينه وبين باوغ الغاية التي يريد ، وقد تتعقد نفسه بهذا الشعور ، ومن ثم كان من واجبنا ان نمهد امامه الطريق الى الايمان بنفسه بناحيتين : اما اولاهما فبطولة صبي يتغلب على طاغية . واما ثانيتهما فبطولة الحيلة ينتصر بها الضعيف على القوي. ومن امثلة البطولة قول الشاعر في وصف مدعي الشجاعة .

وكان يلقي الرعب في القلوب ... بكثرة السلاح في الجيوب
وكلما مر هناك وهنا ... يصيح بالناس انا انا انا
نمى حديثه الى صبي ... صغير جسم بطل قوى
لا يعرف الناس له الفتوه ... وليس ممن يدعون القوة
فقال للقوم سأدريكم به ... فتعملون صدقه من كذبه
وسار نحو الهمشري في عجل ... والناس مما سيكون في وجل
ومد نحوه يمينا قاسيه ... بضربة كادت تكون القاضيه
فلم يحرك ساكنا ولا ارتبك ... ولا انتهى من زعمه ولا ترك
بل قال للغالب قولا لينا ... الان صرنا اثنين : انت وانا

واما الثانية فنسلك اليهما طريق الرمز على لسان الحيوان ، على ان يكون البطل حيوانا ضعيفا يتغلب على حيوان قوى : يخدع الارنب الاسد فيوقعه في البئر ، وتفتك البعوضة بالفيل ، تتغلب الثعلب على الاسد بحيله ، او يفر من الفلاحين بتماوته وهكذا .. فالطفل لا يغريه فتك الاسد بالارانب ، ولا يسر من قتل الفيل للبعوضة لانه يضع نفسه موضع الصغير . فيتوهم حين يقرأ انه يستطيع ان ينازل الاقوياء المعتدين بما يتخيل من سعة الحيلة وقوة الذكاء ، ومن اجل هذا وجدنا الاداب جميعا ومن بينها الادب العربي تمتليء بقصص كثيرة من هذا اللون تلبية لغرائز الطفل وتحبيبا له في القراءة والاطلاع ، وترويحا عن نفسه بما فيها من المفارقات والفكاهات .

ثالثا : مرحلة المراهقة

والان ننتقل الى أخطر مرحلة من مراحل الطفولة ، انها مرحلة المراهقة بين الثانية عشرة الى الرابعة عشرة ، وقد تمتد بعد ذلك سنة اخرى او سنتين ، وهذه الفترة من حياة الطفل هي فترة القلق ، فالغريزة الجنسية ثائرة ، والقيود الكثيرة من حوله تقف في سبيله : سلطة الاباء ، وتقاليد المجتمع وتعاليم الدين وسلطان القوانين ، ولذلك نراه مضطربا اشد الاضطراب ، قلقا اشد القلق ، والقيادة التي تتولاه في هذه الحالة هي التي تحدد مصيره ، وترسم مستقبله . وربما كان أدب البطولة في هذه الفترة أنجع علاج نتذرع به اذا شئنا له الصلاح والسلامة .

قد يتمرد بسبب القلق على كل سلطة ، وقد يهرب من آبائه ، وقد يغضب فيسرف في الغضب . ولكنه مع كل هذا يحمل بين جنبيه نفسا طيبة قابلة للتقويم : فهذا القلق نفسه يحفزه الى متنفس في عمل الابطال ، فيخلص لهم اشد الاخلاص حتى لقد سمى علماء النفس هذه الفترة مع خطورتها البالغة ، احسن الفترات لتكوين المثل العليا ، والعادات مثالا للرجولة الكاملة ، ولا يزال اكباره لها يشتد ويشتد ، حتى يترسم خطاها في امانة ، وينسج على منوالها في دقة تامة ، ومن ثم كانت هذه الفترة مع خطورتها البالغة ، احسن الفترات لتكوين المثل العليا ، والعادات الاجتماعية الصالحة عن طريق دراسة الابطال . ولا اقصد بهذه الدراسة اتباع المنهج العلمي او تلقين المعرفة باسلوب جاف ، وانما اريد استغلال الادب وقصصه ومسرحياته وشعره . وفي تاريخنا العربي قديمه وحديثه مادة صالحة للاستغلال الادبي : فيه المجاهدون الابطال ، والفدائيون ، والشهداء والسياسيون ، واهل الرأي والحكمة ، وفيه الانبياء والصالحون والاطهار المقربون وغيرهم ممن صابروا في سبيل المباديء السامية وضحوا في سبيل الوطن والانسانية . فافاد من جهودهم العرب بل الناس جميعا. نعم في تاريخنا القديم والحديث ما يصلح غذاء ادبيا سليما واداة صالحة للتقويم ، ولا انكر ان جماعة من الادباء والشعراء قد عمدوا الى هذا التراث الكريم فاقتبسوا منه قصصا للبطولات . فجاء بعضها مناسبا ومال بعضها الاخر الى السرد التاريخي مغفلا التشويق فانصرف الاطفال عن قراءته . ومن المسرحيات الشعرية الشائقة مسرحية تدور احداثها في بور سعيد سماها مؤلفها العدو الجبان ، وابطالها من الغلمان الاذكياء الذين يعتمدوم على الحيلة للايقاع بالاعداء ومنها :

والان هيا يا رفاقي ... كل فرد في اتجاه
من رأى منكم عدوا ... فلينفذ ما يراه

وبعد ان صرع احدهم احد الاعداء يقول :

صرعتك مصر بكف شبل من بنى الشعب عظيم
شعب العروبة والرجولة والبطولة من قديم

واعتقد ان استغلال التاريخ لا يزال محدودا ، ولذلك ارى ان نعمد الى مادة التاريخ التي بين ايدينا فنقسمها على هذا النحو :

أ ـ علماء او ابطال نبغوا في حداثة السن كالمتنبي والشافعي ومصطفى كامل وغيرهم .

ب ـ ابطال تفوقوا في قتال الاعداء دفاعا عن الوطن او حماية لمبدأ من المباديء كخالد بن الوليد ، وصلاح الدين وغيرهما .

ج ـ ابطال ضحوا في سبيل مبادئهم كجميلة بو حيرد

د ـ ابطال الاصلاح كجمال الافغاني ، وقاسم امين .

هـ ـ رجال الذهن والورع كعمر بن عبد العزيز

و ـ اخبار الرحالة والكاشفين.

نعمد الى هذه الانواع من البطولات ونجعلها اساسا لقصص ، نضيف اليها من الخيال ما نراه بحيث لا تخرج في جوهرها عن المفهوم التاريخي، وليس يضيرها ذلك ما دامت تقدم الىالطفل على انها لون من الوان القصص لا على انها تاريخ . اماالقصص الشعبي فمن واجبنا ان نتنقى منه ما نراه صالحا ثم نهذبه تهذيبا كاملا ما دمنا نرمى من ورائه الى التربية والتقويم ، وليس من الحكمة في شيء ان نقف في اخراجنا له عند حد الاسلوب كما يفعل بعض المهذبين .

ولا اريد باتجاهنا الى التاريخ ان نهمل جانب القصص على لسان الحيوان والطير فما زال الطفل في مراهقته تواقا الى صوره على ان نخطو به خطوة اوسع مدى واعمق تفكيرا ، ونستغله فيما نريد من الوان البطولات .

قد نقدم في المقطوعة الواحدة شخصيتين او ثلاثا ، ويقوم كل منها بعمل من الاعمال ثم نبين في خلال الابيات او ختامها ايها اعلى قدرا واكثر نفعا ، على ان يكون كل من العملين بطوليا او انسانيا يفاضل بينهما . ولشوقي قطعة شعرية بعنوان « أمة الارانب والفيل » رأيت فيها وفاء بهذه الاتجاهات ، بل ان ما فيها من اشارات بطولية خليقة بان تكون دروسا متعددة في الاخلاق ، ومرانة على مواجهة المشكلات بحزم وتفكير وتعاون مع المواطنين :

يحكون ان امة الارانب ... قد اخذت من الثرى بجانب
وابتهجت بالوطن الكريم ... وموئل العيال والحريم
فاختاره الفيل له طريقا ... ممزقا أصحابنا تمزيقا
وكان فيهم ارنب لبيب ... أذهب جل صوفه التجريب
نادى بهم يا معشر الارانب ... من عالم وشاعر وكاتب
اتحدوا ضد العدو الجافي ... فالاتحاد قوة الضعاف

وتمضي القصة مبينة ان الارانب اختارت بعد هذه الدعوة ثلاثة للتشاور وتدبير حيلة للايقاع بالفيل ، ورأى كل منها رأيا وكان رأي الاول :

ان نترك الارض لذي الخرطوم ... كي نستريح من أذى الغشوم

فلم تقبل الجماعة الرأي لانه ترك للوطن ، والتنحى عنه كفقدان الحياة.

ورأى الثاني ان يستعان بالثعلب في تدبير حيلة للفتك به على ان يأخذ مقابل حيلته ارنبين فلم تقبل الجماعة :

فقيل لا يا صاحب السمو لا يدفع العدو بالعدو

ورأى الثالث حفر هوة للفيل وقد نجحت حيلته ، فارادت الجماعة ان تؤمره عليها فلم يقبل وقال :

فصاحب الصوت القوي الغالب من قد دعا يا معشر الارانب

ففي القصة دعوة الى الاتحاد ، وثورة على الظلم ، واعتماد على المشورة، وتفان في محبة الوطن ، وعدم الاعتماد على الاعداء في صد اعداء اخرين ، وايثار واظهار لفضل صاحب الدعوة على من عاون في نجاحها . فأصبحت القصة بذلك كله خليقة بان نقدم للاطفال في فترة المراهقة .

الاسلوب : اذا كان اختيار الموضوع وما يشتمل عليه من افكار من الامور المهمة التي يجب ان يتوخاها المؤلف مناسبة للمرحلة التي يؤلف لها ـ اذا كان ذلك مهما ، فان اختيار الاسلوب ملائما كذلك من الاهمية بمكان. فقد تضيع الفائدة لارتفاع في الاسلوب ، وقد يهون الابتذال من قدر القصة في نظر المتعلم من الاطفال ، ومن اجل هذا نرى ان اختيار الموضوع يحدد في كثير من الاحيان مستوى الاسلوب الذي يجب ان يكتب به . وهذا ما يعنى به المؤلف اذا كان ممن يهتمون بالدراسات النفسية للاطفال . ولكن هل سارت القصص التي بين ايدينا على هذا الغرار ؟ وهل راعى المؤلفون في اساليبهم عند الكتابة : المواءمة بين مستوى الموضوع ومستوى الاسلوب ؟ اننا لا نجد الا القليل النادر من هذه القصص : اما الكثرة الغامرة من الانتاج : فموضوع لا يلتقي بأسلوب ، واسلوب لا يتفير مهما يكثر الانتاج وارتفاع يند عن مستوى الاطفال ، وتراكب في الخيال .

وقد هبط الاسلوب الشعري في بعض المسرحيات الى حد الابتذال والخطأ في الوزن ، ومن ذلك :

ولسوف نطوي راية الكفر فقد ضربت عليهم ذلة وخضوع

فيل النبي نجا وها هو قربك فمضت تطيل الحمد نشكر ربها

كالبرق يلمع كان سيفك نازلا كالجرح يقطر صاعدا بالروح

وفي هذه الابيات كما نرى اخطاء في الوزن وابتذال في الاسلوب وضعف في المعاني .

وبعد فانا نريد من مؤلفي القصص ان يتخيروا الموضوع ملائما لاحدى مراحل الطفولة ، فاذا تأكدوا من ذلك تخيروا الاسلوب المناسب لهذه المرحلة ، وبذلك تأتي اساليبهم متفاوتة بتفاوت الموضوعات .

القصص المترجمة :

قد يستطيع الطفل في مرحلة المراهقة ان يقرأ الوانا من القصص المترجمة تتضمن وصفا لبيئات اجنبية ، وتحمل اسماء لم يسمع بها في بيئته ونشرح عادات وتقاليد تختلف عن عاداته وتقاليده . وهو دون هذه السن احوج ما يكون الى ادراك بيئته اولا والبيئات العربية ثانيا، ومن الخطأ ان نسبق به الزمن فنقدم اليه ما لا يستطيع ادراكه او يراه ابعد من آفاقه .

فاذا شئنا الترجمة لمن هم دون المراهقة كان من واجبنا ان نعرب الاسماء ونغير ملامح البيئات ، ونلون العادات والتقاليد بما يجانس بيئاتهم.

وقد اطلعت على مجموعة من القصص المترجمة عن الايطالية ، فوجدت في صورها جمالا ، وفي اخراجها روعة ولكنها تضمنت الوانا من العادات التي لا تلائم ابناءنا واشتملت على كثير من الخرافات والاحداث المفزعة التي نأمل ان ننزه افكار الصغار منها في العهد الجديد .

وقد عمد بعض الادباء الى تلخيص القصص عن الآداب الاجنبية ، وراعوا في اساليبهم السهولة معتقدين انها بقصرها وسهولة اسلوبها اصبحت ملائمة للاطفال ، ونسوا ان الموضوع وما يشتمل عليه من احداث فوق المستوى وانها بهذا لا تصلح اداة للتوجيه وربما نفرته من القراءة، او اساءت الى نفسه واخلاقه .

وشبيه بهذا عمل بعض المترجمين ممن تخيروا الموضوع ملائما لبعض مراحل الطفولة ولكنهم ملأوا اساليبهم بالوان شتى من صور البيان وغريب الالفاظ ، يقول احدهم في قصة للاطفال :

« ثم انثنت مزهوة الفرحة الوسنانة التي يفتر بها محياها وتلالات ثناياها . غدت بسمات تتوثب على ملامحها وتطفر ، آنا راقصة وانا معابثة ، على خديها فوق ثغرها الضاحي في لمح عينيها ، اذ يبرق بين اهدابها المشرعات كالسهام » وبمثل هذا الاسلوب يجلى المترجم احداث القصة على انها للتلميذ بل التلميذ الصغير كما يبدو من صغر القصة ، وصورها وطريقة طبعها وعرضها .

كلمة ختامية :

ونحن في ختام هذ الكلمة نتوجه الى المؤلفين من الشعراء والكتاب والمترجمين والمهذبين لقصصنا الشعبي آملين ان يهتموا بالنواحي ، الاتية ، حتى يكون لاعمالهم آثارها المجدية في تنشئة الجيل الجديد :

١) عليهم ان يتخيروا لكل مرحلة من مراحل الطفولة ما يناسبها من الموضوعات ، وان يتوخوا في بيانهم الاسلوب الملائم لكل مرحلة ، على ان تكون الدراسة النفسية الاساس فيما يؤلفون .

٢) وعليهم ـ اذا شاءوا التهذيب من ادبنا الشعبي للاطفال ـ ان ينتقوا منه الوانا يجيلون فيها يد الاصلاح ، حتى تأتى خالية من الشوائب، مجدية في تنمية الخيال ، مهذبة للاخلاق بما نعرض من المثل الصالحة للابطال .

٣) ومن واجب المؤلفين ان يهيئوا اذهان الناشئين للوثبات العلمية في العالم ، وان يبشروا بوثبات ووثبات ، وان يجعلوا من العلوم والاختراعات مادة الالوان من الخيال ونماذج لطائفة من البطولات ، ولعلهم يجدون في هذا غناء عن بطولات الجن والشياطين .

٤) وعليهم ان يجعلوا تاريخنا الماضي والحاضر وما فيه من بطولات ، وسائل لتنشئة الابناء على العزة والكرامة بما يجدون فيه من المثل العليا تلك المثل التي تضيء امامهم الطريق الى اشرف الغايات .

وبعد ، فاني ذاكر لمؤلفي ادب الاطفال جهدهم وفضلهم ، ومنوه في هذا المؤتمر الكريم ، بفضل بعض المجلات على تربية الناشئين ، وارجو ان يتابع الادباء نشاطهم وان يلتمسوا بادابهم افوم الطرق للاعداد والاصلاح ، حتى يعدوا ابطال المستقبل بما يقدمون من النماذج الرائعة للبطولة فقد كان الادباء وما زالوا الرواد الذين يسيرون في مقدمة الركب الى اسمى الغايات، وها هي ذي الامة العربية قد وضعت في أيديهم خير امانة ، وضعت في أيديهم أعز شيء لديها ، وضعت آمالها العزيزة ومستقبلها الذي تصبو اليه ، وضعت جيلها الصاعد ، بل وضعت الابطال احفاد الابطال .

احمد ابو بكر ابراهيم

مفتش بمعارف الكويت